الإسراء
آية إيمانية خارقة

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله
نائب المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية
مفتي محافظة رام الله والبيرة

الآيات الربانية الخارقة هي العلامات البينة الدالة بوضوح بارز على عظمة قدرة الله في إبهار الناظرين، وشد انتباه المتابعين.

ويطلق بعض العلماء على الآيات الربانية الباهرة مصطلح المعجزات، وتُعرَّف المعجزة بأنها: أمر خارق للعادة، يجريه الله على من أرسلهم أنبياء، تصديقاً لهم في نبوَّتهم، مع عجز المخلوقات الأخرى عن الإتيان بمثله.

والقرآن الكريم ذكر كثيراً من الآيات الربانية التي أيد بها الله- عز وجل -رسله، وأبطل بها حجج الجاحدين المكذبين للنبوات، وفي هذا السياق تُذكر عصا موسى، عليه السلام، والنار التي انقلبت فيها خاصية الإحراق إلى النقيض تماماً، حين صارت برداً وسلاماً على إبراهيم، عليه السلام، وتُذكر أيضاً المائدة التي أنزلها الله على بني إسرائيل، مؤازرة لعيسى، عليه السلام، إضافة إلى تمكنه من إحياء الموتى بإذن الله، ويمكن لأي باحث الرجوع إلى القرآن الكريم ليستخلص منه عدداً باهراً من الآيات الربانية الدالة على عظمة قدرة الله، التي يزداد المؤمن بها يقيناً بدينه، واطمئناناً لربه، وبعض الناس من أصحاب العقول النيرة دفعتهم الآيات إلى الإيمان، وتسليم الأمر لله، كما حصل مع السحرة الذين جمعهم فرعون لينتصروا على موسى ويغلبوه، فلما شاهدوا عصاه تنقلب حية تسعى، أيقنوا بأنها آية عظيمة يفوق أمرها إمكانات السحر ومجاله، فآمنوا بموسى وربه، على الرغم من تطلعهم قبل ذلك لنيل جائزة فرعون الموعودة، إلا أنهم قبلوا عذاب فرعون وتهديده وبطشه عوضاً عن نيل الحظوة لديه، وهو الذي كان يقول للناس أنا ربكم الأعلى، وسجل القرآن الكريم في ثنايا آياته المقروءة موقف السحرة من هذه الآية الربانية الباهرة، وموقف فرعون الممثل لشريحة المعاندين الجاحدين ممن أعمى الله بصائرهم، وطمس على عيونهم، فبقوا رغم الآيات يصرون على الكفر العظيم، كما في الآيات: (56-76 من سورة طه)، والآيات: (23-51 من سورة الشعراء).

ولأن الله على كل شيء قدير، فلا يعجزه سبحانه شيء مهما عظم في أعين الخلق وتقديرهم، فهو إن أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، لكنه سبحانه يمتنع عن الاستجابة لطلب الآيات في كثير من

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب فاكس: Fax:+9722 - 6262495 تلفون: Tel: +9722 - 6260042 القدس Jerusalem
الرام AL - ram تلفون: 2- Tel: +9702 - 2348601 فاكس: Fax:+9702 - 2348603 تلفاكس: Telefax:+9702 - 2340085 الرمز البريدي: P1260342 ص.ب : P.O.Box : 1862

الظروف، وإرسال مزيد منها بسبب استعظامها من قبله سبحانه، وإنما لسبب وجيه غير هذا يتعلق بالخلق أنفسهم، حيث إن كثيراً من طالبي الآيات أو ملامسيها لا يؤمنون، بل يصرون على الجحود، وعن هذا المنحى يقول جل شأنه:{وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلا أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً}(الإسراء: 59)

آية الإسراء:

أيد الله رسوله محمداً، صلى الله عليه وسلم، بآيات باهرة، تاجها القرآن الكريم، الذي أنزله سبحانه بلسان عربي مبين، وأرباب الفصاحة والبلاغة عجزوا عن أن يأتوا بسورة منه، والسورة تطلق على أكبر سوره، وهي البقرة، وكذلك على أصغرها وهي الكوثر، فلم يعجزوا عن البقرة فحسب، بل عن الكوثر وأخواتها أيضاً، على الرغم من طلب الله منهم أن يتعاضدوا على فعل ذلك إن كانوا صادقين في أنهم على حق في كفرهم وضلالهم، فقال تعالى:{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}(البقرة: 23)

ومن بين الآيات الحسية التي أيد الله بها رسوله محمداً، صلى الله عليه وسلم، الإسراء والمعراج، ولما سمع الناس بخبره، صدقه المؤمن، كأبي بكر الصديق، وكذب الخبر آخرون، فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: (مَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ، فَمَنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَمِعُوا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟! قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ؛ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِيَّ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ)

(المستدرك على الصحيحين: 3/ 65، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وصححه الذهبي)

قطع المسافة في رحلة الإسراء بسرعة خارقة:

مما يلفت النظر، ويدعو للتبصر والتدبر، في الموقف من خبر الإسراء والمعراج، أن مكذبيه لم يجادلوا بخبر المعراج جدالاً يذكر، وإنما انصب جدلهم وتكذيبهم لخبر الإسراء، كون الحدث يتعلق بأمور يشاهدونها، وتقع في نطاق حساباتهم المعيشة، فهم يسافرون من الجزيرة العربية إلى بقاع شتى، ومنها الشام وبيت المقدس، ويستخدمون في سفرهم وسائل التنقل المتاحة وقتئذٍ، ويعلمون كم من الوقت يلزم لقطع المسافة من مكة إلى بيت والمقدس، ذهاباً وإياباً.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 :فاكس Tel: +9722 - 6260042 :تلفون Jerusalem القدس
P.O.Box : 1862 : ص.ب P1260342 :الرمز البريدي Telefax:+9702 - 2340085 :تلفاكس Fax:+9702 - 2348603 :فاكس Tel: +9702 - 2348601 -2 :تلفون AL - ram الرام

نسبة فعل الإسراء لله:

في آية الإسراء الخارقة، لم يكن الرسول، صلى الله عليه وسلم، سوى بشر، ولم تكن مصادفة أن يُذكره الله سبحانه في فاتحة سورة الإسراء بصفته عبداً لله، فقال عز وجل: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(الإسراء:1)

والرسول، صلى الله عليه وسلم، برهن عن يقينه بأن فعل الإسراء لم يكن بجهده وإمكاناته الذاتية، وإنما كان بقدرة الله، فلم ينسب في أحاديثه التي أخبر فيها عن الإسراء منشأ تلك الرحلة إلى نفسه، فقال: (أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ؛ وهو دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قال: فَرَكِبْتُهُ حتى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قال: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ التي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، قال: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فيه رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ، عليه السَّلَام، بِإِنَاءٍ من خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ من لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فقال جِبْرِيلُ، صلى الله عليه وسلم، اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إلى السَّمَاءِ)(صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى السماوات، وفرض الصلوات)

وهذا يتقاطع مع الإخبار الرباني في الآية الكريمة عن فعل الحادثة بأن الرسول، صلى الله عليه وسلم، أُسري به ولم يكن هو من أسرى بنفسه، أي أن فاعل الإسراء هو الله، وليس الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهذه ميزة مهمة في ديننا الحنيف، أنه يبعدنا عن المزج بين النبوة والألوهية، فمهما عظم فعل النبي، صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يغير من واقع بشريته، ولا يضفي عليه أي صفة من صفات الله جل في علاه، فهو العبد المتلقي من الله، الخاضع إليه سبحانه، وأمره بيده، هو الذي أحياه وبعثه وأيده بنصره وأماته، وسيحشره إليه، يوم القيامة .

ولما جادل الناس النبي، صلى الله عليه وسلم، حول حادثة الإسراء، استعان بالله لدحض حجج المبطلين، ولولا عون الله وتهيئة الأسباب والوسائل لما تمكن من الرد على تكذيبهم، وإثبات صدق ما أخبر، فقال: (لقد رَأَيْتُنِي في الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عن مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عن أَشْيَاءَ من بَيْتِ الْمَقْدِسِ لم أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً ما كُرِبْتُ مثله قَطُّ، قال: فَرَفَعَهُ الله لي أَنْظُرُ إليه، ما يَسْأَلُونِي عن شَيْءٍ إلا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ)(صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم، والمسيح الدجال)

مكانة الإسراء في العقيدة الإسلامية:

لم يكن حدث الإسراء دون غاية أو هدف، بل وقع في خضم حدة معاندة الكافرين ومواجهتهم لوجود الإسلام ودعوته، ومحاربتهم لنبيه، صلى الله عليه وسلم، والثلة المؤمنة برسالته ودينه، ومعلوم تاريخياً أن الإسراء حدث والرسول، صلى الله عليه وسلم، يبحث عن مأوى أرضي له ولأصحابه ودينه، ليتمكن

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 :فاكس Tel: +9722 - 6260042 :تلفون Jerusalem القدس
P.O.Box : 1862 : ص.ب P1260342 :الرمز البريدي Telefax:+9702 - 2340085 :تلفاكس Fax:+9702 - 2348603 :فاكس Tel: +9702 - 2348601 -2 :تلفون AL - ram الرام

من نشره، ودعوة الناس إليه، خارج نطاق الحصار الذي كانت تفرضه عليه قريش وصناديدها، ومن لف لفهم من أهل العداوة، فكانت حادثة الإسراء بعد فشل اللجوء إلى الطائف، وفي هذا الجانب يكتسب حدث الإسراء ميزة أخرى على صعيد تأييد الرسول، صلى الله عليه وسلم، به كآية من الله الخارقة، فكان فيه الأُنس، وكانت فيه المؤازرة واكتساب مزيد من قوة الحجة، ولأن حدث الإسراء مميز في الدين، أفرد الله له سورة قرآنية أطلق عليها اسماً منسوباً إليه، وهي سورة الإسراء، التي افتتحها الله بالآية القرآنية المخبرة عن هذا الحدث العظيم.

وبالإضافة إلى هذا التوثيق العقائدي لهذا الحدث، فإن جانباً عقائدياً مهماً آخر برز في حدث الإسراء، يتمثل في ربط بدايته ونهايته بمكانين عظيمين في تاريخ الأديان عامة، والإسلام بخاصة، فكان يمكن لو لم يكن لهذا الربط اعتبار مهم أن يتم المعراج بالنبي، صلى الله عليه وسلم، إلى السماوات من مكة مباشرة، فلماذا كان المعراج من المسجد الأقصى إلى السماوات، ثم العودة إليه، في طريق العودة إلى مكة المكرمة؟ ومغازي التفسير المنطقي لذلك تقتضي التعاطي معه من منطلق الإيمان بحكمة الله وحسن تدبيره، وضرورة التدبر في حكم الأفعال الربانية، التي من المحال أن تكون عبثية، وإنما يحتم الإيمان التعامل معها بأنها مقصودة لحكمة بالغة، وكيف لا تكون كذلك؟! والمسجدان مرتبطان عقائدياً ببعض، في أكثر من مجال ديني وتاريخي ووجودي، فالمسجد الحرام سبق المسجد الأقصى في الوجود على ظهر الأرض بأربعين عاماً، وكان المسجد الأقصى هو الثاني في الوجود بعد المسجد الحرام لعبادة الله، كما جاء في الحديث الصحيح، عن أبي ذَرٍّ، رضي الله عنه، قال: قلت: (يا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأرض أَوَّلُ؟ قال: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قلت: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قلت: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قال: أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ، فَهُوَ مَسْجِدٌ، وفي حديث أبي كَامِلٍ: ثُمَّ حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّهِ، فإنه مَسْجِدٌ) (صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة)

وعلى عكس هذه السمة، التي سبق فيها المسجد الحرام المسجد الأقصى المبارك في الوجود الزماني، فإن المسجد الأقصى سبق المسجد الحرام في استقباله من قبل المسلمين في صلاتهم.

وتلك من أبرز جوانب الربط العقائدي والتعبدي بين المسجدين الحرام في مكة المكرمة، والأقصى في بيت المقدس، فقبلة الصلاة تمثل بعداً عقائدياً من جانب، وتعبدياً لتعلقها بالصلاة من ناحية أخرى، ولذلك كله بعد سياسي لا تخفى معالمه وأبعاده على أي متدبر في أحوال المسجدين، وما يتعرض له المسجد الأقصى المبارك من محاولات النزع من حظيرة الإسلام، في ظل صراع الوجود بين المسلمين وأعدائهم.

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
P.O.Box : 1862 ص.ب : P1260342 الرمز البريدي: Telefax:+9702 - 2340085 تلفاكس: Fax:+9702 - 2348603 فاكس: Tel: +9702 - 2348601 -2 تلفون: AL - ram الرام

والمسجدان الحرام والمسجد الأقصى المبارك يشتركان مع المسجد النبوي في حصر شد الرحال إليها.

فالإسراء حدث عقائدي وتعبدي وسياسي بامتياز، ينبغي عند النظر في مجرياته وأبعاده، إمعان التدبر في مكاني بدايته ونهايته من هذا المنظور، في إطار خدمة القضية الإيمانية، ومؤازرة جانب الحق في مواجهته الدائمة مع قوى البغي والباطل، حتى يرث الله الأرض وما عليها، والمتدبر في الصراع المحتدم حول السيطرة على المسجد الأقصى بين المسلمين وغيرهم من ذوي الأطماع في بسط النفوذ عليه، يزداد يقيناً بأهمية حدث الإسراء، والمسجدين الحرام والأقصى، في دين الإسلام وعقيدته، مع وضع علامات استفهام كبيرة حول مقاصد بعض الصيحات المعاصرة التي تشكك في حدث الإسراء، وتلك التي تشكك في موقع المسجد الأقصى المبارك، المُسرى بالنبي، صلى الله عليه وسلم، إليه، والله تعالى يقول: {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ}(الرعد: 17)، ويقول عز وجل: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}(الصف:8).

www.darifta.ps info@darifta.ps P.O.Box : 20517 : ص.ب Fax:+9722 - 6262495 فاكس: Tel: +9722 - 6260042 تلفون: Jerusalem القدس
P.O.Box : 1862 : ص.ب P1260342 الرمز البريدي: Telefax:+9702 - 2340085 تلفاكس: Fax:+9702 - 2348603 فاكس: Tel: +9702 - 2348601 -2 تلفون: AL - ram الرام